

الأدب الجزائري المكتوب باللسان الفرنسي: الهوية الدوافع والتحديات
Algerian littérature written with the French Tongue Identity,
motives and challenges

١. سارة بولكعيبات *

١. د رشيد قريبع *

تاريخ النشر: 2021/09/15	تاريخ القبول: 2021/04/24	تاريخ الإرسال: 2021/01/25
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

يسعى هذا البحث إلى طرح قضية اللغة كأداة للهوية القومية وحالة ألا انتماء التي عاشها ويعيشها الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية فهو الأدب الذي كتب بلغة العدو ليعبر عن عدم انتمائه لهذا العدو بل أكثر من ذلك فيعبر عن الآلام والمآسي التي حلت به بسببه. ذلك العدو الذي لم يغنم من ثورته عليه غير لسانه. كما يبرز الخصوصية الثقافية الجزائرية، لتكون الرواية آلية من آليات تشكيل الهوية الثقافية. وتمثيلا لها من جهة أخرى لتتحدد هوية العمل الأدبي من خلال مجموعة من المقومات الثقافية التي تؤسس لنص .

الكلمات المفتاحية: الهوية، اللغة، السلطة، الرواية، الترجمة

Abstract:

This research seeks to present the issue of language as a tool for national identity, and the state of lack of affiliation with which Algerian literature written in the French language lives. It is literature written in the language of the enemy to express his lack of affiliation with this enemy, but more than that, expressing the pain and tragedies that befell him because of

المؤلف المرسل: سارة بولكعيبات. boulkaibet.1987@gmail.com

* جامعة قسنطينة 1، كلية الأدب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، مخبر الترجمة

boulkaibet.1987@gmail.com

* جامعة قسنطينة 1 كلية الأدب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، مخبر الترجمة

kribarachid@gmail.com

him that enemy Who did not gain from his revolution against him except his tongue. It also highlights the Algerian cultural specificity, so that the novel is a mechanism of forming a cultural identity.

Key words: Identity, language, authority, narration, translation

*** **

مقدمة:

فرضت السلطة الاستعمارية نفوذها الإيديولوجي على الحياة والثقافة في الدول التي خضعت لها لقرون من الزمن. ولأن اللغة كانت ضحية التماهي في الآخر فقد غيرت الحدود الجغرافية، كما هو الحال في القارتين الصفراء والسمراء، وكان للغة الفرنسية ما لم يكن لغيرها وهذا ما كان سببا في ظهور الأدب المقارن لتؤكد فرنسا هيمنتها اللغوية على العالم، لتضع اللغة شرطا أساسيا لدراسة انتقال الآداب بين الشعوب، فانبثق عن ذلك "الأدب المقارن" (literature comparative) جاعلة بذلك كل ما كتب بالفرنسية فرنسيا بالضرورة. وهنا تعرض الأدب المكتوب بغير لغته إلى طعن في هويته، بعد أن تهجن صوته وتغير لسانه، رغم أن البعض يعدة مثل كاتب ياسين صاحب نجمة: (غنيمة حرب) والغنيمة تأخذ بعدا ايجابيا إذ أن الأدباء واجهوا المستعمر بلغته التي يفهمها لينقلب السحر على الساحر. ويقول مالك حداد: (نحن لا نكتب اللغة الفرنسية، بل نكتب بها) وهنا يؤكد على أنها مجرد وسيلة و أداة لنقل أفكاره والدفاع عن انتمائه الفكري والسياسي والعقائدي إلى الآخر باللغة التي يفهمها وقد كان مجبرا على اختياره رغم مقدرته على الكتابة بلغته الأصلية، إذ أنه لو كتب باللغة العربية لظلت كتاباته حبيسة الوطن العربي ولم ينقل قضية شعبه إلى العالم لتكتسب تعاطفا وبعدا إنسانيا.

كل هذا يدعونا للتساؤل: هل اللغة تطبع الفكر فنحن لا نفكر إلا باللغة وداخلها؟ أم أنها مجرد وعاء ينقل ما يضح فيه؟ وهنا هل اللغة هي التي ترسم حدود ثقافته وتمنحه هوية ما؟ وهذا ما سنجيب عنه في هذه المقالة مع السعي إلى تعيين الخصائص التي تميز هذا الأدب المشكل من لغة أجنبية وروح عربية، من خلال ما كتبه بعض الأدباء الجزائريين

باللغة الفرنسية مثل محمد ديب ومالك حداد وكاتب ياسين وكذا مليكة مقدم وآسيا جبار مع الخوض في الدوافع التي كانت سببا في إرساء هذا الأدب في محيط العالمية وغرقه عند العرب في مستنقع الاستنكار والتنكر بل حتى داخل حدود الوطن حيث اعتبر خائنا فأعدم وأخيرا ما هي طبيعة التحديات والرهانات المفروضة عليه ؟.

2. الهوية والأدب الجزائري المكتوب باللسان الفرنسي

1.2 الهوية واللغة:

ويعد سؤال الهوية أحد أهم الإشكالات التي طرحها الحدث وما بعدها، لما خلفته 2 الحروب البشرية و حاجة الإنسان للانتماء و اكتساب هوية تحدد كيانه بعد أن اضطهد وعُمل كآلة مفرغة من الروح مجردا من الهوية.

لتكون الكتابة حاجة ملحة عبرت من خلالها الشعوب على تواجدها، كذات وكيان مستقلة عن المستعمر " حملت معنى الرد والمقاومة على اختلاف أبعادها وألوانها ومراميها، تبعا للمسار التاريخي الذي قطعته تجربة الاستعمار وصولا إلى زواله"^[1]

وتستعمل كلمة هوية في الأدبيات المعاصرة لأداء معنى كلمة (identité) التي تعبر عن خاصية المطابقة : أي مطابقة الشيء لنفسه، فالهوية لغة من هو يهوي هوة "والهوية تصغير هوة، وقيل الهوية بئر بعيدة المهواة"^[2] وهنا يحيلنا التعريف المعجمي لابن منظور إلى عمق المفهوم نفسه وترسب معانيه ، فهي الحقيقة المطلقة، المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق"^[3] وفي المعجم الحديث فإنها لا تخرج عن هذا المضمون فهي حقيقة الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية والتي تميزه عن غيره وتسمى أيضا وحدة الذات"^[4] فما مدى تطابق هوية الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية وروحه التي تحمل بعده العربي الإسلامي هذه المتقابلات والتناقضات التي كونت أدب استحق العالمية ، والولوج في آداب الأقوام الأخرى فاللغة من احد أهم مكونات الهوية الوطنية والقومية والتي يصنفها البعض إلى انه لا هوية إلا للغة ولا فضل إلا لها ، فيشبهها

" دو سويسر بورقة يمثل الفكر وجهها والصوت وجهها الآخر والوجهان متكاملان إذ يمكن عزل إحداهما عن الآخر." [5] "فالهوية في حالة الإمكان هي اللغة فاللغة تألف شعورا أوليا بال "نحن" بين أفراد الجماعة نسميه ال "نحن اللغوي" أو ال "نحن البدائي"، فهو نحن معطى من البداية، وعليه يتأسس المجتمع، ولكن هذا ال "نحن البدائي" هو مشروع وليس وجود مكتملا بالفعل، وهذا نابع من طبيعة اللغة ذاتها" [6] إذ أن اللغة أكثر ثبات من غيرها من المكونات و أكثر المكونات تعبيرا عن وجود الإنسان "مادام الإنسان وهو يكشف وجوده لنفسه في كل مرة ينطق أو يكتب فيها، وعملية الانكشاف تلك هي الوجود الذي يتقوّم به كل موجود إنساني." [7] فاللغة هي الحالة التي يستنطق بها الكاتب ذاته ليعبر عن تجلياتها فيذهب دريدا إلى جعل هذه اللغة انتمائه الوحيد "أنا أحادي اللغة (monolingue) وأحاديتي اللغوية هذه كانت وستبقى بيّتي هكذا أحسها، وهكذا اسكنها و تسكنني وهكذا ستبقى، إن الأحادية التي أتنفسها هنا هي بمثابة العنصر الحاسم في حياتي...عنصر لا هو بالطبيعي، ولا هو يمثل شفافية الأثير،... بإقراقي بحضوره الدائم داخل ذاتي ذاتها...لكن إن نظرت من خارج هذه الأحادية..فإنني وببساطة لن أكون أنا ذاتي كما كنت قبل، أنها تشكلني وتحملني إلى أعماق أعماق، كما أنها تمنحني وحدة تشبه وحدة الرهبان" [8] تكرا بذلك انتمائه الجغرافي وكذا الديني فهو يتماها في اللغة ليجعل منها هويته الوحيدة رغم تصريحه أنها ليست لغته الأم وأنه لا يعرف غيرها وأنه لا يريد أن يعرف غيرها فقد نذر نفسه لها، لتكون هذه اللغة مصدرا لعذابه فيقول "من هنا يبدوا أنك بدأت تتلمس بجلاء مصدر عذاباني المتتالية ذلك أن هذه اللغة التي تخترقها من أقصاها إلى أقصاها هي مكنن الآمي، ورغباتي، وصلواتي بل هي الدافع لكل آمالي." [9] وهنا يؤكد على أهمية اللغة في حياته فهو لا يتواجد إلا فيها ومن خلالها لتكون هويته المشتتة بين ارض ولد فيها ولا ينتهي إليها، وإلى لغة يمارسها ولكنها ليست لغته الأصلية والى دين لا ينتهي إلى شعبه هذه الثلاثية التي افرزها الاستعمار الحديث كانت أساسا لاستراتيجية التفكيك التي تبحث في طهر الأشياء ونقائها، بعيدا عن سيطرت المركز ويمكن أن نذكر هنا انه صاحب مفهوم التفكيك (déconstruction) التي يقابل مفهومها الشتات أو التشتيت أي لانتماء والذي يقول "انه أكثر من لغة " [10] كل هذا بالنسبة لدريدا يعني شيء واحدا انه لا هوية إلا للغة ، وهنا يتنكر للمكونات الأخرى التي تعد كلها ضرورية لتكوين الهوية فاللغة وحدها

غير قادرة على تذويب بقية العناصر لصالحها وخير مثال على ذلك أن المستعمر الفرنسي استخدمها للقضاء على هوية الشعوب التي احتلها لكن مع طمس معالم أخرى كالدين، ليرد المعذبون في الأرض بنفس اللغة لكن بخطاب يحمل عداء شديدا لأصحاب اللغة الأصلية، لينقلب السحر على الساحر، فيقول مالك حداد: (نحن لا نكتب اللغة الفرنسية، بل نكتب بها) ^[11] وهنا يؤكد على أنها مجرد وسيلة و أداة لنقل أفكاره والدفاع عن انتمائه الفكري والجغرافي والعقائدي إلى الآخر باللغة التي يفهمها وقد كان مجبرا على اختياره رغم مقدرة على الكتابة بلغته الأصلية، إذ انه لو كتب باللغة العربية لظل حبيس الوطن العربي ولم ينقل قضية شعبه إلى العالم واكتسب تعاطفه وبعده الأنساني.

2.2 التجاذبات التاريخية والجغرافية:

كتاب الجزائريين " تحمل في نهاية المطاف غموضا، من حيث أننا لا نتفق على مضمونها، ولا حتى على كلمة " جزائري " أو على صفة جزائري. إنّ الكاتب هو نتاج التاريخ أكثر منه نتاج الجغرافيا، فالجغرافيا احتمال أما التاريخ فلا. إنني أرى أن كل هذا الغموض، وهذه المعاناة في البحث عن تعريف نشأت من مأساة اللغة، وهذه المأساة تأتي من التعبير الفرنسي لكتاباتنا) ^[12]. فالتاريخ أوسع وأكثر ثبات من الانتماء الجغرافي الذي يعد اقل استقرارا مع الاستعمار الحديث وقد وضع الخطيبي ^[13] في تقديم أحد كتبه المخصصة للازدواجية اللغوية فيقول هذا الأخير "لو لم تكن هناك اللغة (كما هي الحال بالنسبة لأشياء أخرى) لو لم تكن هناك أحادية لغوية مطلقة، فإنه يبقى علينا أن نحدد ما معنى لغة أم (أو أصلية) "معينة" مأخوذة عبر تقسيماتها الفاعلة المختلفة، وما يمكن لهذه اللغة أن تحصله إذا ما طعمت بلغة أجنبية أخرى علما أن التطعيم هنا، هو مدعاة لتشرذم والضياع، إذ لا يمكن العودة لا إلى اللغة الأم (الأصلية) ولا إلى اللغة الأجنبية، وإنما إلى منزلة بين المنزلتين القائمتين وعنوانها اللابلاغية أو اللاتواصلية وهذا الأمر ستكون محصلته لغة هجينة في مستوى الكلام وفي مستوى الكتابة أيضا". ^[14] وهذا القول يوضح حالة اللغة بالنسبة للفرنكو-مغاربة الذين تهجن لسانهم ليفقدوا أصالة لغة معينة فالدارجة هي مزيج بين اللغة العربية واللغة الفرنسية، فلا العرب قادرين على فهمها ولا العجم، غير إن مئة واثنان

وثلاثون سنة في ظل الاستعمار الفرنسي كانت كفيلة بان يكتسب الجزائريين اللغة الفرنسية التي كانت تدرس لوافري الحض من الشعب الجزائري غير أن العائرين منهم لم يحظوا بتعلم أي لغة كانت فساد الجهل والخرافات التي غدت بها فرنسا عقولهم، فاللغة الفرنسية لم تكن خيارا نتيجة التعلم ولكنها موروث ثقافي حيث كان للأدب دور أساسي في النضال والكفاح ضد المستعمر وكانت اللغة الفرنسية شريكة في كفاحه بالنسبة للعدد كبير من الأدباء خاصة كتاب الرواية ذلك الجنس الأدبي الفضفاض الذي وسع التعبير عن أهمهم ومعاناتهم قيل وبعد الاستقلال، رغم مجيئه متأخرا عن بقيت الفنون الأدبية، على غزارته مستمدا مادته من الواقع المعيش .

فأسسوا لخطاب سردي يفوق أصحاب اللغة في كثير من الأحيان ،فأسيا جبار قد عينت كعضوه في أكاديمية اللغة الفرنسية وهي أعلى مؤسسة تختص في تراث اللغة الفرنسية غير أن قلمها لم يكتب إلا عن الجزائر والجزائريين ومعاناتهم ،داخل الوطن وخارجه.وهذا نضال بالقلم فقد "أصدرت أول عمل روائي لها "رواية العطش" سنة 1957م، وآخر عام 1958م بعنوان "القلقون" كتاهما تعالج قضايا المرأة وحريتها المهدورة في المجتمع الجزائري ، أما روايتها التي اشتهرت بها هي "أطفال العالم الجديد" التي نشرتها إبان فترة الاستقلال 1962 متضمنة لقضايا الثورة التحريرية ومآسها، وغيرها من الأعمال التي نالت شهرة عالية على الصعيدين الغربي والعربي".^[15]

3.من هوية السرد إلى سرد الهوية :

1.3.السرد الروائي للهوية:

حيث أدت الرواية دورها من خلال مشاركتها آلام الشعوب ،وتعبيرها عن تطلعاته كاتبةً بذلك حده الإنساني، كما أجابت عن التساؤلات الكبرى التي شغلت الإنسان

المعاصر، لتجمع بين صفحاتها الفلسفة والفن والموسيقى وغيرها ، فيجيب سرفانتس في روايته "دون كيشوت" عن سؤال الجدوى في صراعه مع "طحونات الهواء" التي أثبتت زيف الكتب وبعدها عن الواقع ، في محاولة تفكيك الأسس التي رسخت للعلوم الإنسانية لدهر من الزمن ، حيث سقطت الحواجز التي رسخها الفكر الغربي، فحاول الكتاب الجزائريون سرد هوية الأدب الجزائري انطلاقاً من واقعيه، واعتماداً على الإحاء والرمز في خطاباتهم.

فكاتب ياسين في روايته "نجمة" التي تحدث فيها عن الجزائر وعن المرأة الجزائرية وأعطى الحرب طابعاً ملحيمياً يميز روايته فنجمة رمز يصل بين الماضي والحاضر ويربط بين الأجيال ، معتمداً خلالها الكثير من الرمزية لتصبح الرواية كشيء بين الواقع والخيال فنجمة تلك المرأة الجميلة الشابة ، التي يحوم حولها الطامعون هي نفسها الجزائر نجمته الأثيرة وحبه الأول فتطرح هذه الرواية أسئلة كثيرة حول الهوية الوطنية وحالة التشرذم التي عاشها الوطن لأكثر من قرن من الزمن ونقله لبشاعة أحداث الثامن ماي 1945م الدامية التي قتل فيها الشعب الجزائري بأبشع الطرق بعد أن طالب فرنسا بالوفاء بعهودها فهل غيرت لغتها أحاسيسها ومعانيها عن الوطن المكلم وهموم الجزائر؟ والتي وظف فيها تقنيات الرواية الحديثة من حيث الأزمنة المتداخل ، الشخصيات الفضفاضة ، لتكون واحدة من مؤسسي حركة الرواية الفرنسية الجديد. والتي مازالت تثار حولها التساؤلات إلى يومنا.

كما يرى إدوارد غليسون ^[16] Glissant من أن عدم إتقان لغة مناسبة معينة يعبر في المقام الأول عن حالات الاغتراب "الكولونيالي" (الاستعماري) "coloniale" ، أو العبودية عبر التاريخ . "والاضطهاد الاستعماري على مستوى اللغة يفقد الكينونة اللغوية الأصلية لهذه اللغة ما يخلق حالة من الاغتراب الذاتي" ^[17] . فالكتابة باللغة الفرنسية شكلت حالة من الاغتراب لدى الكتاب الجزائريين الذين ما غنموا من الاستعمار سوى لسانه (بعبارة مالك حداد الشهيرة "الفرنسية منفاي" لم يكن يقصد بهذه العبارة الذائعة الشائعة أن يُحاكم

اللغة الفرنسية من حيث هي لغة مثل بقية اللغات البشرية، وإنما كان يشير إلى الطريق المسدود الذي وجد فيه الأدب المغربي المكتوب باللغة الفرنسية بعامية والأدب الجزائري بخاصة، ولاسيما أنّ هذا المنفى انتقل إلى قرائه.^[18] فهو يكتب لقرأ لن يقرأ أدبه أبدا رغم انه كتب عنهم ولهم ما جعله يهجر الكتابة بعد الاستقلال وكأنا دورها قد أنتها بانتهاء الغاية من الكتابة بها . رغم روعة كتاباته ولغتها الشعرية الرمزية التي كانت تصور الحالة التي آلت إليها الأوضاع في الجزائر من كتاباته الانطباع الأخير "la dernière impression" الصادرة سنة 1958 م وكذا التلميذ والدرس "L'élève et la leçon" الصادر عام 1960 ورصيف الأزهار لا يجيب "le quai aux fleurs ne réponds plus" الصادر سنة 1961 م " ^[19].

2.3 خصائص ومميزات الأدب الجزائري باللسان الفرنسي:

برغم من أهمية اللغة في نقل الخطاب إلى أنها ليمكن أن تسير مدلوله إلا أنها خدمت الثورة التحريرية وشاركت في النضال وإيصال صوت الجزائر إلى خارج الحدود القومية ولم تتخلّى عن هويتها الوطنية ولا القومية، فقد رد محمد ديب عن استفتاء ورد في مجلة فرنسية (nouvelles littéraires) حول "هل هناك مدرسة أدبية شمال افريقية ؟" وكان الهدف من هذا السؤال محاولة ربط المدرسة الإفريقية بلواء المدرسة الفرنسية كجزء منها وكان رد محمد ديب في ذلك بـ "بل قولوا أن أدبا قوميا يظهر الآن في المغرب عامة وفي الجزائر خاصة غير أن الأمر الذي له دلالة بليغة هو أن هذا الأدب يكتب باللغة الفرنسية في بلاد ذات تراث ثقافي إسلامي لا تزال تحاول في كثير من العناء ، أن تقدم إنتاجا أدبيا باللغة العربية ."^[20] وهو ما عبر عنه مالك حداد بصرخته الموجهة في إحدى قصائده "أنا ارطن ولا أتكلم ، إن في لغتي

لكنة، إنني معقود اللسان ..ويسمعه نقاد الأدب في فرنسا الذين قرؤوا شعره ،فيحملقون ويقولون:ما هذا التواضع ،إن لك لفرنسية رائعة ولكن مالك يظل يصيح صيحته الموجهة ..فلو كنت اعرف الغناء لقلت شعرا عربيا ...لقد شاء الاستعمار أن يكون في لساني آفة، أن أكون معقود اللسان".^[21] هذا الألم والنقص الذي يحس به يعوضه في مضامين كتابته فقد ألغت فرنسا حق الجزائريين في تعلم لغتهم حيث أعلنت اللغة الفرنسية كلغة رسمية ووحيدة للبلاد في المدارس والجامعات والمعاهد لتكون فرصة أولئك الأقلة من الذين تمكنوا من الدخول للمدرسة فقد خلفت فرنسا الجهل والأمية لذا أغلبية الجزائريين .

استعمل الأدباء الرواية كجنس يعبر عن هموم الجزائريين "أن النثر اشد التصاقا بالأرض من الشعر، ذلك أن ظروف الجزائر بعد الحرب العالمية الحرب الأولى قد ساعدت على ظهور المذهب الواقعي الذي وجد فيه الكتاب على اختلاف ثقافتهم مجالا لتعبير عن واقع البلاد".^[22] ليعملوا على إظهار واقع حياتهم دون مغالاة في الخيال فعالجوا مواضيع الفقر والحرمان والجوع، والشقاء ولو عدنا إلى نص من نصوص محمد ديب الدار الكبيرة، فانه يصور الجوع كوحش مفترس، فيقضي أبطال روايته يومهم في مراوغته.

كما أن الأبطال في نصوصهم الروائية كانوا أبطالاً واقعيين آلامهم هي آلام شعوبهم يأكلون ويسبرون ويحزنون وكذا يفرحون، بكل إنسانية لا خارقين و لا مثاليين ،فعمر بطل رواية ثلاثية محمد ديب "الدار الكبيرة" و "الحريق" و "المنسج" أو النول" (تعرفه منذ كان طفلا يعيش مع أمه في منزل قديم عفن في مدينة تلمسان إلا أن يصبح رجلا عاملا في مصنع النسيج ينتظر مصيره تماما كما ينتظر الآلاف من مواطنيه ،وهو المصير الذي تحدد بقيام الثورة 1954 وعمر في تنقله من مرحلة البيت إلى المدرسة ثم الريف ثم المصنع).^[23]

اهتم الأدباء في فترة الاستعمار على مسائل الهوية ومحاولة ترسيخ الانتماء، فالهوية الوطنية احد أهم إشكالات هذا الأدب الفتي، الذي راح يزاحم الآداب العالمية الأخرى

لطروحاته الإنسانية، فيتطرق محمد ديب إلى ذلك من خلال الطفل الصغير عمر الذي يسأل العالم كطفل يتعرف على هذا العالم " .. سر الأستاذ حسن، فسار إلى منبره، وأخذ يقلب أوراق دفتر كبير ثم قال:- الوطن .. لم يكثرث الصبية بالنبأ. إنهم لا يفهمون. وعسكرت الكلمة في الهواء تهتز...

..بحث التلاميذ فيما حولهم، وطافت نظراتهم بين المناضد ،وعلى الجدران،ومن خلال النوافذ وفي السقف وفي وجه المعلم.ظهر واضحاً أن الوطن ليس في أي مكان...قال إبراهيم:فرنسا هي أمنا الوطن...كانت شفتا عمر مزمومتين ،فهو يعجن في فمه لقمة من الخبز فرنسا،عاصمتها،باريس،انه يعرف هذا...فكيف لتلك البلاد البعيد أن تكون أمه ..".^[24] فبرغم من حالة الجوع التي تسيطر على كيانه، لم يفقد الطفل الصغير إحساسه بالانتماء إلى وطنه الذي أكيدا لم يكن يوما فرنسا.

كما عبروا عن الصراع بين كتاب اللغة الفرنسية وكتاب اللغة العربية فأسيا جبار تكتب نص "...وهران لغة ميتة" يتحدث عن انطفاء اللغة الفرنسية بين أهلها وفي الربوع التي كانت فرنسا تحلم أن تكون هذه اللغة لسانا لها لذلك فتحت الكاتبة مجالا بوضع نقاط اما العنوان.

اعتماد الرمز والتشفير في نصوصهم وذلك لقمع الاستعمار لهم إذ قام بالتصفية الجسدية لكل من أحمد رضا حوحو (29 مارس 1956) ومولود فرعون (15 مارس 1962). ليغمس الأديب ريشته بالدماء والعذاب والجنون والحكمة والتمرد فيضرم نيران يصعب إطفائها لمحاكاة آلام شعوبهم. هذا عن مرحلة الاستعمار اما بعده ففي سنين العشرية السوداء تعرض فيها المثقفون الجزائريون إلى التهديد بالقتل ك"مليكة مقدم" و "كمال داود" وتعرض آخرون إلى القتل كالمسرحي عبد القادر علولة . "فكلما كانت هوية مجتمع أو شعب ما مهتزة أو مضطربة أو قلقة أو ملعونة أو مكبوتة أو محاصرة...تكون مساحة السكوت

واسعة ومقننة وتحت المراقبة"^[25] ولهذا كانت الكتابة خارج حدود الجزائر و كذا خارج اللغة العربية أكثر حرية و جرأة فحاضوا الطابوهات المحرمة دون قيد أو شرط .

لتمتج الأجناس الأدبية فيما بينها فنعطي النص لغة مميزة بين الشعر والنثر و استخدم الفولكلور والغناء الشعبي في بعض النصوص كرواية الدار الكبيرة لمحمد ديب فتصبح الرواية كرنفال متعدد الألوان .

تأثر الأدباء بالأدب الأمريكي عامة وبالقصة خاصة "إن الطابع الأمريكي في أدب إفريقيا الشمالية، يظهر في التشابه الكبير بين الظروف والبيئة التي أنتجت الأدب القومي في كل من أمريكا وإفريقيا الشمالية"^[26] والمقصود هنا أمريكا الجنوبية وبخاصة الواقعية السحرية ، والظروف المشابهة تمثلت خاصة في ميل الكتاب إلى الحرف قبل التجائم إلى الكتابة "حيث أنهم لم يمارسوا الأدب إلى بعد التجارب التي اقتنوها في مختلف الحرف، لذلك جاءت موضوعاتهم الأدبية تعبر عن خبرة شخصية بالمشاكل اليومية. وهكذا نجد كاتب ياسين ، احترف الصحافة والعمل في الموانئ والزراعة قبل أن يمارس الكتابة"^[27] وكذا محمد ديب ومولود معمري وغيرهم .

استخدام الزمن في رواية نجمة «تذكر القارئ بفوكنر وطريقته الخاصة في تناول الوقت، وذلك بعودتها المتتالية إلى الماضي، وافتتانها الخالد بالمنابع الأول للإنسان»^[28].

يمكن إنكار خدمة الأدب الجزائري باللسان الفرنسي للفرنسية وإدخال مصطلحات جديد للمعجم في ما يسمى بالتهجين اللغوية أي استخدام كلمات عربية ، بحروف لاتينية كفقير، "fqair" وغيرها

إلا انه وبرغم مما سبق فالأدب الجزائري دو كيان عربي إسلامي يحتفي بذلك في نضه، يتطلع إلى الشرق عبر نافذة الخذلان الذي عاش فيه طول الحكم الاستعماري التعسفي"كان الشرق كما جسده الأدب الجزائري في أدهان المواطنين مهد الحضارة وحرمة العروبة، ومهبط الوحي، ومن ثم حلم الخلاص، وطريق الوحدة الشاملة، وقد كانت هذه المشاعر التي يثيرها الفكر في كل عصر"^[29] لم يتنكر الأدب الجزائري باللسان الفرنسي لهويته الوطنية ولا القومية بل كان يحلم أن يتحد العرب يوما، ويعيدوا بطولات الأجداد في الثقافة والفكر بعيدا عن نافذة الخذلان. ويبدوا ذلك واضحا وجليا في نصوصه التي جمعت الغرب والشرق في نص واحد وهذا ما أعطى طابع التفرد والاختلاف لنصوصهم عن النصوص التي كتبها الغربي المولود في الجزائر. "ورغم تأثير الجيل الجديد من كتاب فرنسا وإفريقيا الشمالية بفوكنر، فانك تلتمس تفسير خاصيات رواية نجمة من مصادر أخرى، فالموسيقى والبناء الداخلي للقصة جاء نتيجة لفكرة عربية محضه عن الإنسان وجها لوجه مع الزمن"^[30] ليختلط فيها الزمن بين المستقبل والماضي ليعود إلى الحاضر كما نجح كاتب يسين في اعتماد الفكر وعلم النفس الحديث دو المنابع الغربية مع الخاطبة والبالغة العربية "فرغم انه يستعمل الفرنسية كلغة كتابية فانه يتحدث العربية في الحياة اليومية، فقد استخدموا لغة أجنبية لتعبير عن أفكارهم الإسلامية، فقد حاولوا أن يحافظوا على طبيعتهم، التقليدية الخاصة. إن هذه الحقيقة تعطي أدب إفريقيا الشمالية نكهة القصة الشرقية التي تعتبر ميزة من ميزاته .

4. خاتمة:

وهكذا ابرز الأدباء هويتهم الوطنية المتفردة والمختلفة من خلال الآخر وبلغته إذ أنها ومن هذا المنظور فان الهوية لا تكون إلى من خلال الآخر، ومع الآخر. ويمكن أن يتمثل الإنسان

ذاته من خلال اختلافه عن الآخرين ما أسماه ريكور في أحد كتبه " بالذات عينها كآخر *SOI-MEME COMME UN AUTRE*. ويتحقق ذلك التمثل في الزمن وفي الموقف التاريخي لجعل من السرد أحد أهم مكونات الهوية التي تعبر عن وجودها من خلال السرد، فلم يكن ممكن للكتاب الجزائريين إن يعبروا عن لغتهم الأم التي فقدوها بسبب الاستعمار وظلمه إلى بالكتابة بلغة أخرى، كانت الخلاص لمعاناتهم.

5. الهوامش:

- [1] حفناوي بعلي، مدخل الى نظرية النقد الثقافي المقارن، منشورات الاختلاف، ص 67
- [2] ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الجزء الثاني، ص 170
- [3] على بن محمد الجرجاني: التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1988، ص 257
- [4] كلود دوبار: أزمة الهوية (تفسير، تحول)، ترجمة: رندة بعث، المكتبة الشرقية، ط 1، لبنان، 2008، ص 86.
- [5] عمر مهيبل: البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1993، ص 21.
- [6] أحمد حيدر: إعادة إنتاج الهوية (دراسات فكرية)، دار الحصاد لنشر والتوزيع، دمشق، ط 1997، ص 1، 137،
- [7] حسام نايل: دروس التفكيك (الإنسان والعدمية في الأدب المعاصر)، مرجع سابق ص 35.
- [8] جاك دريدا: أحادية الآخر اللغوية أو في الترميم الآخر، ترجمة: عمر مهيبل، منشورات الاختلاف، ط 1، الجزائر، 2008، ص 23.
- [9] جاك دريدا: المرجع السابق، ص 24
- [10] جاك داريدا، المرجع السابق، ص 16
- [11] واسيني لعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 79
- [12] مالك حداد، الأصفار تدور في فراغ، تر: أحمد منور، دار الأملية الجزائر، ط 01، 2012، ص 52
- [13] عبد لكبير الخطيبي: روايات مغربي وعالم اجتماع، وأخصائي بالأدب المغربي.

- [14] إدوارد غليسون: كاتب من المارتنيك، يعد من أهم الكتاب في بلده، عرف بمواقفه التحررية والإنسانية، كوقوفه إلى جانب المفكرين الجزائريين في نضالهم.
- [15] سهام حشايشي: الرواية النسوية الجزائرية، تعددية القراءة، مجلة التبیین الجاحظية، العدد 39، ص 12.
- [16] أحادية الآخر اللغوية، مرجع سابق، ص 31، 30.
- [17] المرجع السابق، ص 51
- [18] أحمد يوسف: علامات فارقة في الفلسفة واللغة والأدب، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2013، ص 172
- [19] سامية إدريس: الرواية الجزائرية الحديثة بين الهوية الثقافية والهوية السردية، منشورات المجلس، 2011، ص 117
- [20] محمد ديب: ثلاثية محمد ديب "النول والحريق والدار الكبيرة"، ترجمة سامي الدروبي، دار الوحدة للطباعة والنشر، بيروت، 1980، ص 5
- [21] محمد ديب المرجع السابق، ص 7
- [22] أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط 2007، ص 5، ص 56
- [23] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 57
- [24] محمد ديب: المرجع السابق ص 19
- [25] فتحي المسكيني: الهجرة إلى الإنسانية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2016، ص 339
- [26] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 96
- [27] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص ن
- [28] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 104
- [29] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 107
- [30] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 104

*** **